المبحث الأول :سيميائية العنوان

ملخص رواية "نادي الصنوبر" للكاتبة ربيعة جلطي:

قليلة هي الأعمال الأدبية التي تحدثت عن عالم آخر، عالم مختزل في أعماق بلدنا، عالم الصحراء، هذا العالم الذي يمثل جزءا من أصالتنا وتراثنا وأحد ثقافاتنا، هكذا اِرتأت الروائية ربيعة جلطي أن تلج بالقارئ إلى هذا العالم وتخرج باطنه، تعرّف به وتكشف عن بعض من خباياه من خلال خلفية سردية موازية بسيطة، تبرز من خلالها جانبا من عادات وتقاليد المجتمع الطارقي، وتفصل عوالمه عبر شخصية عدتْها المحورية "الحاجة عذرا" الطارقية القادمة من عمق الصحراء، والتي تسكن العاصمة وتملك شققا للإيجار وكذا فيلا بإقامة "نادي الصنوبر"، هذا الفضاء المكاني الذي تتمحور حوله أحداث الرواية والذي أرادت الروائية أن تجعل منه مركز النص وعنوانه، فالرواية في الحقيقة عبارة عن مجموعة من القصص القصيرة، أو كما سمتها صاحبتها أبوابا يجمع بينهم خيط رفيع هو "نادي الصنوبر"، قد عمدت من خلال هذا السرد الروائي إلى نقد السلطة ورموزها عبر إيحاءات لا تريد لها فضحا مباشرا، وفضلت التركيز على شخصيات ترتبط بشكل أو بآخر بإقامة الدولة "نادي الصنوبر"، فنجد كل الشخوص التي يمكن تخيّلها حسب تفصيل نمطي تداولي: الحاجة عذرا وعالم الطوارق ثم ارتباطها من عبده الخليجي، والبطال مسعود الذي يحمل ماجستير في الأدب، والذي عاد في النهاية وصار يشتغل حارسا لفيلا الحاجة عذرا بنادي الصنوبر، ثم البنات الثلاثة اللواتي يحملن عالما آخر ومتواصل من الخيبات الجزائرية المألوفة وهي: البحث عن العمل أو الزوج أو الشهرة والمال، فالرواية إذن تدور أحداثها حول اسم لمكان أو بالأحرى المكان الذي تدور فيه الأحداث، أو كما يطلقون عليه المدينة الساحلية، فالنص يصل الصحراء بالساحل، وهذا ما سنحاول إبرازه من خلال تحليلنا للعنوان ودلالته وعلاقته بالشخصيات والمتن.

تعريف العنوان:

يجد المتصفح لكتب التراث (الأجنبي والعربي) أنَّ العلماء أولوا عناية كبيرة لعناوين كتبهم، لأنهم أدركوا أنَّ العنوان هو هوية صاحبه، وأنَّه حلقة الوصل التي تعمل على توجيه المتلقي، وانتبه المثقفون إلى هذه الظاهرة اللغوية منذ عصور النهضة، وتركز الاهتمام عليها خاصة في الإعلانات والمناشير والجرائد.

أصبح العنوان في العصر الحديث والمعاصر يحتل مركز الصدارة في الإبداعات الأدبية وأصبح ظاهرة فنية وثقافية تتوفر على استراتيجية بنيوية مكثفة، بما يثيره من وظائف جمالية لفتت انتباه النقاد والمنظرين ،فسعوا إلى إيجاد علم خاص بهم، هو علم التترولوجيا (La titrologie) أو علم العنونة الذي يعتمد على وسائل إجرائية تتخذ منه المفتاح التقني الذي يجس به نبض النص وتجاعيده وترسباته البنيوية وتضاريسه التركيبية على المستويين الدلالي والرمزي ،فهو بمثابة المنارة التي تضيء عتبات النص[1]. لذلك لا يمكننا أن نقفز إلى التحليل قبل أن نعرّف به.

العنوان معجميا:

فالعنوان في تعريفه اللغوي كما جاء في لسان العرب: <<وعننت الكتاب وأعننته لكذا أي عرضته له وصرفته إليه وعنّ الكتاب يعنّه عنّا، وعننته: كعنونة وعنونته وعلونته بمعنى واحد ومشتق من المعنى، وقال" اللحياني :"عننت الكتاب تعنينا وعنيته تعنية إذا عنونته، أبدلوا من إحدى النونات ياء، ونسمي عنوانا لأنه يعني الكتاب من ناحيته، وأصله عنان، فلما كثرت النونات قلبت إحداها واوا، ومن قال علوان الكتاب جعل النون لاما لأنها أخف وأظهر من النون، يقال للرجل يعرض ولا يصرح: <<قد جعل كذا وكذا عنوانا لحاجته>>.[2]

وأنشد: وتعرف في عنوانها بعض لحنها وفي جوفها صمعاء تحكي الدواهيا

قال بن بري: والعنوان الأثر،وقال سوار بن المضرب:

وحاجة دون أخرى قد سنحت بها جعلتها للتي أخفيت عنوانا

أما في ما جاء في قاموس المحيط فهو لا يختلف عمّا جاء في لسان العرب، إذ يعرّف العنوان لغة: أنّه السّمة والعلامة والأثر، يستدل به على الشيء بوجه من وجوه التعريف لا التصريح...[3]

(1)ينظرشادية شقروش، سيميائية الخطاب الشعري في ديوان (مقام البوح) للشاعر عبدالله العشي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 1431ه-2010م، ص: 25.

(2)ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عام أحمد حيدر: عبد المنعم خليل إبراهيم دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1426ه – 2005م، ص: 879.

(3)فيروز أبادي، القاموس المحيط،(دط)، (د.ت.ط)، ص: 341.

العنوان اِصطلاحا:

يعد العنوان من بين أهم عناصر المناص (النص الموازي)، لهذا فإن تعريفه يطرح بعض الأسئلة ويلّح علينا في التحليل، فجهاز العنونة كما عرفه عصر النهضة أو قبل ذلك، العصر الكلاسيكي كعنصر مهم، فهو مجموع معقد أحيانا أو مربك، وهذا التعقيد ليس لطوله أو قصره، ولكن مرده مدى قدرتنا على تحليله وتأويله.(1)

لقد "تنبه الأدباء والنقاد والمنظرون إلى العنوان، وخاصة بعد ظهور المناهج النصية، حيث أولت السيميائيات (Je ankohim) أهمية كبرى للعنوان باعتباره مصطلحا إجرائيا ناجعا في مقارنة النص الأدبي،ومفتاحا أساسيا يتسلح به المحلل للولوج إلى أغوار النص العميقة، قصد استنطاقها وتأويلها، لذلك اختلف في تعريفه نظرا للمنطلقات الفلسفية لكل ناقد ومنظر، إذأحدثت الدراسة اللسانية والإيديولوجية والسوسيولوجية للعناوين أعمالا كثيرة وهامة، ويشير هنري ميتران (Henri Metterand) إليها ويقر أنّه أخذ منها التعاريف وطريقة التحليل.(2)

يعرّف ليوهويك العنوان بقوله: <<هو مجموعة من العلاقات اللسانية قد ترد طالع النص وتعلن عن فحواه وترغب القرّاء فيه>>.(3)

وإذا انتقلنا إلى "جون كوهن" (Jean Kohine)، فإنّه يعتبر العنوان من مظاهر الوصل والإسناد والقواعد المنطقية. فيقول: <<إنّ طرفي الوصل ينبغي أن يجمعهما مجال خطابي واحد، يجب أن تكون هناك فكرة هي الموضوع المشترك، وغالبا ما قام عنوان الخطاب بهذه الوظيفة، إنه يمثل المسند إليه، أو الموضوع العام، وتكون كل الأفكار الواردة في الخطاب مسندات له، إنّه الكلّ الذي تكون هذه الأفكار أجزائه ،ونلاحظ مباشرة أن كل خطاب نثري علميا كان أم أدبيا يتوفر دائما على عنوان في حين أن الشعر يقبل الإستغناء عنه>>.(4)

(1)عبد الحق بلعابد، عتبات جيرار جينيت، من النص إلى الناص، الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل، ط1، بيروت، 1423ه- 2008م، ص: 65.

(2)ينظر ،شادية شقروش، سيميائية الخطاب الشعري(م س)، ص: 28.

(3)نبيل منصور، "الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة"، دار قرطبة (د.م)، الدار البيضاء، 1997، ص: 45.

(4) د. شادية شقروش، م س، ص: 29.

أما فكري جزار فقد عرّف العنوان بشكل موسع مقارنة بالتعاريف السابقة مستعينا بمعاني هذه الكلمة (العنوان) بهذا التعريف الأولي اللغوي، والذي لا يعتبره مختلفا عن التعريف الإصطلاحي له: <<العنوان للكتاب كالاسم للشيء، به يعرف وبه يتداول، يشار إليه به عليه، يحمل وسم كتابه وفي الوقت نفسه يسمى العنوان علامة من الكتاب جعلت له>>.(1)

أهمية العنوان:

<<إنّ البحث في أهمية العنوان يذهب بنا إلى التأويل الذي صار مشروعا يحدد أفقا للتوقعات ويعين على دخول عالم النص، وتعد التأويلية غاية في ذاتها تحيل على الخلفيات الفكرية والمنطلقات الفلسفية للمبدع والقارئ، وهي مسائل ترتسم ارتساما في البنية العميقة للنصوص، ولا يعني هذا أن يجري القارئ على سرد معارفه المستشارة بالعنوان دون تحديد ولا تقييد، وإنّما المراد أن يتعلق الناقد به في حدود ما تسمح به اللياقة الأدبية والمعرفية السليمة المبنية على ما يقوله النص، ولا يجيزه على ما ليس فيه، والمراد هنا أن يقع التأويل في مجال محدد بنقطتين الأولى تمده بكل ما يكمن في صلب الخطاب والثانية تحد من امكانات فهمنا لما يلحق كما يرى "براون ويل" وهو رأي ليس ببعيد عمّا ذهبت إليه بشرى البستاني حين عدت العنوان مدخلا إلى أغوار النص العميق قصد استنطاقها وتأويلها.فالعنوان هو أداة إبراز، لها قوة خاصة تخص النص ذاته، والذي لم يعد مرتبطا بمنتجه جراء العنونة>>.(2)

<<ويعد العنوان من أهم عناصر النص الموازي وملحقاته الداخلية ،نظرا لكونه مدخلا أساسيا في العمل الأدبي الإبداعي، وهو عتبة النص، وبدايته وإشارته الأولى، والعلامة التي تطبع الكتاب أو النص وتسميه وتميّزه عن غيره>>.(3)

– تكمن أهمية العنوان في كونه مكوّنا نصيا فهو ليس أقل أهمية عن المكوّنات النصية الأخرى، فالعنوان هو سلطة النص وواجهته الإعلامية، وهذه السلطة تمارس على المتلقي إكراها أدبيا، كما أنّه

(1)د. محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(د.ط)، 1998، ص: 15.

(2)أحمد مداس، لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث(إربد – الأردن)،ط1 ،2007م، ص: 42.

(3)د. جميل حمداوي، صورة العنوان،(دط)، (د ت ط)، ص: 02.

الجزء الدال من النص وهذا ما يؤهله للكشف عن طبيعة النص والمساهمة في فك غموضه، فإنه يحظى بأهمية نابعة من اعتباره مفتاحا في التعامل مع النص في بعديه الدلالي والرمزي ،بحيث لا يمكن لأي قارئ أن يلج عوالم النص **أو** الكتاب، وتفكيك بنياته التركيبية والدلالية واستكشاف مدلولاته ومقاصده التداولية دون امتلاك المفتاح أي العنوان، فهو النور الذي يضيء فضاء النص ويساعد على استكشاف أغواره، فيكون بكل ذلك ضرورة كتابية تساعد على اقتحام عوالم النص لأن القارئ يدخل إلى العمل الأدبي من بوابة "العنوان"، و رغم اختصاره وتقلّصه إلاّ أنّه يلعب دورا هاما وحاسما، في الأعمال الأدبية خاصة.(1)

– ولقد اِحتل العنوان مركز الصدارة في نشر وتسويق الكتب والمجلات والصحف والأفلام وغيرها مما له علاقة مباشرة أو غير مباشرة بتسويق المعرفة التي تتراكم من يوم لآخر، وبأهداف لا حصر لها لعل أبرزها تشويق القارئ أو السامع أو المشاهد وجذب اهتمامه وتركيز وعيه بأهمية ما يتلقاه.(2)

سيميائية العنوان في رواية "نادي الصنوبر"

إن الناقد يربط بين منطقية العنوان وعقلنة النثر، لكن العنوان إبداع لا يمكن أبدا أن يكون منطقيا، العنوان علامة تنبض بالدلالات، فهو نظام سيميائي طافح بالأبعاد الدلالية أي أنه يشكل المفتاح لكنّه غير ثابت، يمثل الوسم لكنه غير معلل، فالعنوان محيل وقد يحيل إلى التناقض والاختفاء، ومن خلال بنيته الإشارية المختزلة باعتباره أعلى إقتصاد ممكن، يفرض أعلى فاعلية تلقٍ ممكنة، ما يدفع إلى استثمار منجزات التأويل.(3)

فنظرا لأهمية العنوان في الرواية سنحاول أن نحلل العنوان في البداية باعتباره بنية مختصرة مستقلة عن النص، حيث تتضح استقلاليته اعتمادا على العناصر المشكلة له وانفراده على صفحة الغلاف بكتابة طبوغرافية، وعنوان رواية "نادي الصنوبر" لا يخلو من هذا اذ يفاجأ القارئ بالعنوان منبسطا على فضاء الغلاف بتشكيلة هندسية متقنة، يمليها عليه الخط الغليظ الممتلئ واللون الوردي الذي طبعت به الحروف، يتوسط الجانب العلوي من سطح الغلاف ويعلو الصورة، ما يجعله يشغل الحيّز الأكبر من

(1) ينظر عثمان بدري، دراسات تطبيقية، في الشعر العربي، ثالة، (د.ط)، (د.ت.ط)، ص: 38.

(2)عثمان بدري، وظيفة اللغة في الخطاب الروائي الواقعي عند نجيب محفوظ، الجزائر، (د.ط)، 2007،ص: 138.

(3) بسام قطوس، سيمياء العنوان،، مطبوعات المكتبة الوطنية، عمان، الأردن، ط1، 2001، ص: 36.

الكتابة على ظهره، ويمثل الوحدة الكبرى المشكلة لفضائه، مقارنة بالوحدات الأخرى كاسم المؤلفة، ودار النشر ... إلخ.

ما يثبت فاعلية وجوده كعلامة أيقونية مرئية وكإنجاز بصري بالدرجة الأولى على غلاف الرواية أكثر مما هو إنجاز لغوي وصفي، وهو بذلك يبرز وظيفة من وظائفه التي تحدث عنها جيرار جينيت وهي الوظيفة الإغرائية والتي تعد <<من الوظائف المهمة للعنوان، المعول عليها كثيرا رغم صعوبة القبض عليها، فهي تغرر بالقارئ المستهلك، بتنشيطها لقدرة الشراء عنده وتحريكها لفضول القراءة فيه، والقاعدة المنظمة لهذه الوظيفة قد وضعت منذ قرون في مقولة Eureliére: <<العنوان الجيّد هو أحسن سمسار للكتاب ..>>[1] وعنوان نادي الصنوبر لا يبتعد عن هذه القاعدة، وما يزيد من قوة حضوره هو اللون الوردي الداكن الذي نحت به، والذي كان له الدور الفعال في جذب الانتباه والذي عادة ما يرمز إلى الحياة والعواطف الحلوة الجميلة، وتموضعه على خلفية رمادية فاتحة ،ما يجعله أكثر وضوحا، فالعلاقة الضدية بين اللون الفاتح الذي لونت به الخلفية، وبين الوردي الداكن الذي رسمت به حروف العنوان جعلت هذا الأخير أكثر بروزا وأعطته لمحة جمالية وبذلك يكون قد أثبت وجوده كعلامة مرئية فهناك وحدة تناسق واختلاف.

أما نحويا فقد اعتمدت الروائية فيه تركيبا إضافيا من "مضاف + مضاف إليه" ليكون الأصل "نادي" والمضاف إليه "الصنوبر" ،ما يبرز فضل الأول على الثاني وليس العكس، فإنّ "نادي" يمثل اسما لمكان التجمعات واللقاءات و هو يبرز بوضوح مدى تعلق العنوان بالمتن السردي، ويوحي إلى أن أحداث الرواية تدور حول اسم لمكان، وما يؤكد ذلك القسم الثاني للعنوان "الصنوبر" والذي يحدد بوضوح أي مكان يقصد ،وهو اسم لأشجار ترمز إلى الخلود، وقد ورد ذكرها في الرواية على لسان شخصية مسعود حيث يقول: <<... جميع الفيلات الجاهزة الأنيقة المترامية على أطراف الصنوبر ...>>[2]، وربما هذا ما تحاول الروائية أن تبلغ القارئ به، وترمز إليه باسم هذا المكان.

وإذا حللنا العنوان باعتباره جاء مبتدأ أي "نادي الصنوبر" فهنا يوضع القارئ في تساؤل وتأويل باحثا عن خبر لهذا المبتدأ، مما يدفعه إلى رغبة ملحة في الإجابة عن تساؤله وذلك بتوغله في أغوار الرواية

(1)عبد الحق العابد، عتبات جيرار جينيت ، م س، ص: 29.

(2)ربيعة جلطي، نادي الصنوبر، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1433ه – 2012م، ص:26.

واستنطاقها محاولا فك شفرة هذا العنوان، ليضعه في ما يسمى بتعدد القراءات باحتمالية أن يكون العنوان مثلا: "نادي الصنوبر جنّة الخلد"،" نادي الصنوبر روضة الأثرياء"، أما باعتبار "نادي الصنوبر" قد ورد خبراً نحو:"جنة الخلد نادي الصنوبر"،فحتما سيكون التساؤل عن المبتدأ، والخوض في تأويلات لإيجاد ما ترمي إليه هذه الدلالة.

وبالرجوع إلى العنوان اصطلاحا فإن "جون كوهن" يعتبر العنوان من مظاهر الوصل والإسناد والقواعد المنطقية، فيقول: <<إن طرفي الوصل ينبغي أن يجمعها مجال خطابي واحد، يجب أن تكون هناك فكرة هي الموضوع المشترك وغالبا ما قام عنوان الخطاب بهذه الوظيفة، إنه يمثل المسند إليه، أو الموضوع العام، وتكون كل الأفكار الواردة في الخطاب مسندات له ...>>(1)

وعليه فإن العنوان يعتبر مسندا إليه أي أنه يمثل المبتدأ، وأحداث الرواية، وكل أفكارها تمثل مسندات له أي أنها أخبار للمبتدأ، "فنادي الصنوبر" الفضاء المكاني، لمركز داخل المدينة المركز، تتحول المدينة بسطوتها وسلطتها ومركزيتها إلى هامش بالنسبة لفضاء نادي الصنوبر، مما يكشف حقيقة هذه المدينة التي يهمش فيها الإنسان ولا يحظى فيها إلا ذو السلطان بترف العيش، نموذج مصغر عن وضع البلد العام.

أما عن ظهوره كدلالة للنص فإن العنوان يشكل مفتاحا مهما له، فهو مكثف لمحموله أو لفكرته الأساسية <<إن دلالة العنوان هي المحرك الأساسي للتطوّر النصي (Développement textuel) إنّه ... ليس نتيجة وليس منتوجا محددا ولكنه وسيلة أو جهاز لإنتاج المعنى، ولذلك فإن العنوان يمتلك وسيلة التأثير على بداية النص>>(2) هكذا إذن تكون مهمة جدا عملية قراءة العنوان إذ هو نفسه يهيئنا لقراءة العمل، وباعتبار أن العنوان والرواية يدخلان في <<علاقة تكاملية ترابطية الأول يعلن والثاني يفسر ويفضل ملفوظا مبرمجا إلى درجة إنتاج أحيانا>>(3) فإن عنوان رواية "نادي الصنوبر" ومتنها يجسدان هذه العلاقة، فعنوان الرواية يحيلنا إلى مضمونها، "نادي الصنوبر" يعلن عن الحدث أو ما سيكون والرواية تفصل لنا الأحداث، وبالعودة إلى النص تتضح الصورة وتتعلق، "نادي الصنوبر" هذا

(1) د. شادية شقروش، م س، ص: 29.

(2)عبد الفتاح لجهري: دلالة اسم العلم في الرواية، ملحوظات نظرية، أنوال الثقافي، عدد 82، (435) 3-9-1988م، ص:

(3)حسن فيلالي، السمة والنص السردي(دراسة)، دار موفر للنشر، الجزائر،(دط)، 2008، ص: 72.

الاسم مقتبس من محمية ترفيهية بالعاصمة مخصص لخاصة المجتمع، السياسيين والدبلوماسيين وأصحاب المال يقضون فيه عطلهم ولحظات أنسهم، وما يوضح ذلك الخطاب السردي الآتي: <<تقع الإقامة بأجمل منطقة من البلد محروسة لا يأتيها القلق أو الخطر من جهاتها الأربع، لا يقطنها إلا الراسخون في القوة والسلطة والوجاهة، يطلقون عليها اسم نادي الصنوبر ..>>(1)،من المفارقة الغريبة أن يحمل النص اسم شاطئ ومحمية تقع بالعاصمة ويبدأ السرد من الصحراء، إنها الشفرة التي تفتح مغاليق البنية وتكشف عوالمها، النص يصل الصحراء بالساحل، يزحزح الهامش ويحاوره، ويدخل في علاقة جدلية مع المركز عبر شخصية "عذرا" بطلة الرواية والتي تنتقل من عمق الصحراء إلى العاصمة الساحلية بكل تفاصيلها البعيدة عن حياة الطوارق، والتي تمتلك فيلا بإقامة "نادي الصنوبر"، وهذا ما يوضح علاقة الشخصية المحورية بالعنوان، وقد تداول اسم هذا المكان على لسانها، وتكرر، وأول ذلك حينما دعت البنات الثلاث لزيارة سكنها هناك قائلة: <<والله سآخذ كن يا بنات ذات يوم لزيارة سكني بنادي الصنوبر>>(2).

وقد حضر "نادي الصنوبر" أيضا من خلال توظيف شخصية "مسعود" وهو الآخر له علاقة بهذا المكان، فهو الحارس لفيلا الحاجة عذرا، وهو من قدم المكان وشرح تفاصيل الإقامة فيه، وما يحدث داخل أسواره العالية وبواباته الموصدة في وجه العامة من بسطاء الشعب، منها هذا المقطع السردي: <<أنا الآن أعس في نادي الصنوبر، قطعة من جنة عدن وسط الجحيم، كأنها جزيرة خيالية مصوّرة بإتقان، وتوأدة بها بحر وخضرة، ووجوه حسنة، بها ما لا يوصف ولا يدرك ولا يرى، وبها فرح الصباح وسهر الليالي الملاح.نادي الصنوبر يا يمة زهور، خمسون هكتارا اقتطعت من جنة الله العليا وأنزلت إلى الأرض السفلى، فيها روض عاطر يسر الخاطر ويبهج الناظر>>.(3)

كما كان للشخصيات الأخرى علاقة بالعنوان، كشخصية "رضوان" حارس آخر يعمل في إقامة "نادي الصنوبر" منذ عدة سنوات، <<رضوان أحد الحراس المهمين في المدخل الرئيسي الرسمي >>(4)،

(1)ربيعة جلطي، نادي الصنوبر، مرجع سابق، ص: 96.

(2)المصدر نفسه: 14.

(3) نفسه، ص: 42.

(4) نفسه، ص: 69.

والذي كان له لقاء مع مسعود في هذا المكان (أي نادي الصنوبر)، وهو يعرف كل كبيرة وصغيرة فيه، ضف إلى ذلك البنات الثلاث: زوخا، باية، نسيمة اللواتي كانت لهن زيارة لإقامة "نادي الصنوبر".

والملاحظ في عنوان الرواية أنّه جاء كدلالة ظاهرة عكس ما هو متداول لدى بعض الروائيين والذين يحبذون استخدام دلالات رمزية للعناوين، والنظام الإنزياحي لاكتناف الغموض والإستعارة لدى القارئ، ووضعه في حالة البحث عن العلاقة التي تربط العنوان بمتنه، إلاّ أنَّ الروائية ربيعة جلطي أعفت القارئ من هذا البحث وأشارت إلى العنوان كدلالة ظاهرة ومعروفة مبتعدة عن اللغة الغامضة، ما يسهل على المتلقي الدخول في النص مباشرة و التعرف عليه للوهلة الأولى مستخدمة في ذلك اسما لمكان معروف، وكنوع من التعبير تتجنب من خلاله التكرار، فأشارت إلى العنوان في الرواية كدلالة إيحائية مستخدمة أسلوب الاستعارة في النص، وأطلقت عليه بعض التسميات تكنيه بها كقولها: "البقعة الفردوسية"، "أهل جنة الصنوبر"، "المدينة المحروسة"، "قطعة من الخيال".

سيميائية البنية العنوانية في رواية نادي الصنوبر :

العنوان الرئيس: هو العنوان الذي يتصدر الكتاب أو العمل الأدبي فيعطي للعمل هويته، لذلك يجد الكاتب صعوبة في صياغته.

العناوين الداخلية: عناوين مرافقة أو مصاحبة للنص وبوجه التحديد داخل النص كعناوين للفصول والمباحث والأقسام والأجزاء للقصص والروايات، والدواوين الشعرية ...إلخ"[1].

لذلك تعزز العنوان الرئيس "نادي الصنوبر" داخل متن الرواية بحضور العناوين داخلية (Les intertitres) حيث تقترح الروائية ربيعة جلطي على القارئ إحدى عشرةبابا، ينفتح كل واحد منها على حكاية من حكايات الحاجة عذرا الطارقية سليلة الملكة "تنهينان"، أو إحدى شخوصها الروائية مثل: زوخا أو سمية، أو مسعود، إذ يروي كل حكايته أو أشواقه وتوقه، لتمتلك هذه الأبواب قيمة العناوين الداخلية وقد أطلقت على كل باب منها عنوانا، تمثلت هذه الأبواب في: باب واقعة الوسيم، باب المعسول، باب الحيرة، باب الاشتياق وما جاوره، باب مفاتيح رضوان... والرضوان عليهم، باب

(1) عبد الحق بلعابد، م س، ص: 124.

البذخ وما جيرانه، باب الرغبة... بوابة السماء، باب عثمان بالي، باب الجمعة، باب سماء سمية الصماء، باب الرحيل... طريق السراب.

وقد وجدت هذه العناوين في الأمكنة التي حددها جيرار جينيت: "إنَّ الأمكنة التي تتخذها العناوين الداخلية يمكن أن نجدها على رأس كل فصل أو مبحث".[1]

وقد أعطت إضافة للرواية بحكم أنها تمكن القارئ من أخذ فكرة عن كل عنوان، فمثلا: باب واقعة الوسيم، هذا الباب الذي ارتأت الروائية أن تلج به سردها، حيث يلتقي القارئ والعنوان لدى أول وهلة من تصفحه للرواية، والذي خصصته الروائية لشخصيتها المحورية "الحاجة عذرا" وتعرفها على عبده الخليجي من أصحاب الحاكم الأوحد، في حفلة طلاقها أين أيقظت الحب في قلبه، وقد رمت الساردة من وراء تسمية هذا الباب بـــ "واقعة الوسيم" إلى الوسيم عبده الذي أوقعته عذرا في شباكها وحاولت لفت انتباهه من خلال رقصتها، وكما جاء في الرواية << حطيت عيني على واحد منهم... كان أوسمهم وأجملهم وجها وجسدا>>،[2] <<بعث الوسيم إليها بمرسول>>،[3] <<كان الوسيم مشدوها مهزوما، وحيدا، مفردا ..>>[4].

لتأتي بعدها فصول شخصية مسعود باعترافاتها وذكرياتها، حيث تسرد الأحداث على لسانه وهو بذلك يحتل أكبر عدد من الأبواب تمثلت في: باب المعسول، باب الحيرة، باب الاشتياق وما جاوره، باب مفاتيح رضوان...والرضوان عليهم.

لتعود بعد ذلك ربيعة جلطي إلى شخصية عذرا وتسرد وقائع زواجها من الخليجي وسفرها إلى بلده والعيش معه حياة الترف والبذخ من خلال باب "البذخ وما جيرانه"، واستذكارها لعالم الصحراء والطوارق وشوقها إليه، وحنينها إلى طفولتها عبر بابين: "باب الرغبة.. بوابة السماء" وباب "عثمان بالي"، لتدخل شخصية زوخا بحكاياتها وتفاصيل حياتها عبر "باب الجمعة"، وتعرفنا على شخصية سمية

(1)ربيعة جلطي،م س، ص: 126.

(2)نفسه، ص: 16.

(3) نفسه، ص: 18.

(4) نفسه، ن ص

عبر باب "سماء سمية الصماء"، لتختم الروائية سردها "بباب الرحيل ... طريق السراب" والذي ارتأت أن تكون خاتمته بمقطع من أغنية شهيرة للراحل عثمان بالي "دمعة ... دمعة" لتضع القارئ في نهاية مفتوحة.

فكل هذه العناوين جمعها خيط واحد أطلق عليه اسم "نادي الصنوبر"، لتؤدي بذلك الوظيفة الرئيسة التي تحدث عنها جيرار جينيت وهي الوظيفة الوصفية، <<فالعناوين الداخلية كبنى سطحية هي عناوين واصفة شارحة (méta-tétres) لعنوانها الرئيس كبنية عميقة، فهي أجوبة مؤجلة لسؤال كينونة العنوان الرئيس، لتحقق بذلك العلاقة التواصلية بين العناوين (الداخلية والرئيسة) والنص بأية سيناريوهات محتملة الفهم>>.[1]

سيميائية العناوين الداخلية:

1. **باب واقعة الوسيم:** هناك تركيز على الجمال الخارجي وإيحاء بإعجاب ما في ارتباط بحدث تاريخي (واقعة).
2. **باب الحيرة:** هناك انتقال من الواقعة التي تعكس المعلومة الثانية اليقينية إلى الحيرة والشك.
3. **باب الاشتياق وما جاوره:** هذا العنوان إمتداد للعنوان الأول لأنّه يمثل رد فعل الذات حين تشعر *بالجمال ← الوسيم ← الحيرة ← الاشتياق*.
4. **باب مفاتيح رضوان والرضوان عليهم:** يعكس تحول الحيرة إلى يقين يحدث الشعور بالرضى وهو يحمل في ذاته تبجيلا، وقولها الرضوان عليهم يعكس صفة التقديس التي أضفتها على هؤلاء الذين يملكون مفاتيح (حلول) هذه الحالة بالحيرة والاشتياق.
5. **باب البذخ وما جيرانه:** يترسخ ذلك القول المتأتي من الرضى من أسباب أهمها حياة البذخ.
6. **باب الرغبة بوابة السماء:** يعكس هذا العنوان هو الآخر تحوّلا في المشاعر نحو الايجابية،من الحيرة إلى الرضى إلى الرغبة، حيث طارت بها بعيدا أحلامها بلغت حد السماء.
7. **باب عثمان بالي:** يوحي العنوان أن الشخصية المحورية "عذرا" التي انتقلت من جوّ صحراء الطوارق بالجنوب الجزائري إلى أقصى الشمال "الجزائر العاصمة" ثم تحولت إلى الخليج، لكنها لم تستطع

(1) عبد الحق بلعابد، م س، ص: 27.

نسيان أصلها، إذ لا تزال تحمل ذكراها كسمفونية ترددها على لسانها كمايردد عثمان بالي تغنيه بالصحراء والطوارق باعتباره سليل الأغنية الطارقية.

8. **باب الجمعة:** يحمل العنوان "الجمعة" رمزا دينيا ويوم عطلة في المجتمع الإسلامي لا تعطل، مما يعكس تقية في النفس مشدودة بعرى الدين والإيمان لم تمحها حياة الترف والبذخ التي وجهت إليها.

9. **باب سماء سمية الصماء:** يحمل العنوان معنى السموّ والطهر، وإصرار سمية على تفويت كل مهم في سبيل حياتها السامية.

10. **باب الرحيل طريق السراب:** توحي بالنهاية التي يمتد أفقها كطريق نهايته سراب لا حدّ له.

جميع هذه العناوين عبارة عن أبواب وكأنها أبواب في قصر قد يكون قصر الصنوبر، يضم بين جدرانه اهتمامات وتناقضات كثيرة.

فضائية عنوان "نادي الصنوبر":

إذا تتبعنا أماكن ظهور العنوان الرئيس "نادي الصنوبر" كما حددها "جيرار جينيت" في كتابه "عتبات" نجد أن: <<الأمكنة التي يتموضع فيها العنوان وفقا للنظام المعمول به، هي أربعة أمكنة>>:[1]

1. الصفحة الأولى للغلاف بتشكيلة تبرز مدى قوته؛
2. في ظهر الغلاف؛
3. في الصفحة الخاصة به والتي يطلق عليها تسمية "صفحة العنوان"؛
4. في الصفحة المزيّفة للعنوان (وهي الصفحة البيضاء التي تحمل العنوان فقط، وربما لا نجدها في بعض السلاسل الطباعية) إلا أنَّ ربيعة جلطي استعانت بها لينفرد بها عنوان "نادي الصنوبر" ولتبرز أهمية حضوره.

<<إنّها مواقع أربعة تعضد سلطة العنوان المركزي، وتجعل منه دالاّ أكبر ضمن الجهاز العنواني الذي يحرص الناشر عموما على احترام نظامه، بحيث لا نصادف خروجا عنه إلاّ في بعض الطبعات الشعبية، والتي تتعامل مع نظام إخراج الكتاب، بمختلف عناصره، بالجدية المطلوبة>>[2].

(1) عبد الحق بلعابد، مرجع سابق، ص: 70.

(2) نبيل منصر، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، م س، ص: 42.